

طلب العلم نعمة من نعم الله العظيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي سهل لعباده المتقين إلى مرضاته سبيلا، وأوضح طريق الهداية وجعل أتباع الرسول عليها دليلا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها عند الله عدة ليوم الدين، وأشهد أن محمدا عبده المصطفى، ونبيه المرتضى، ورسوله الصادق الأمين.

أما بعد: فهذه نصائح خفيفة أوجهها لنفسي المقصرة أولا ولإخواني طلبة العلم والطالبات في الجزائر ثانيا، عسى أن تكون لهم حافزا إلى الجد في طلب العلم، والتمكن فيه، وأن تكون أوقاتهم مستغرقة في باب الازدياد من العلم، والله تعالى موفق لكل خير.

1/ علم التوحيد مبدأ العلم وتمامه:

لا ريب ولا شك أن أفضل العلوم علم التوحيد لأن شرف العلم بشرف المعلوم وهو الذي من أجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وخلقت الخلائق، أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: (إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (256/3): (وفضائل هذه الكلمة وحقائقها، وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون، وهي حقيقة الأمر كله كما قال تعالى) (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)

قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (291/1) عند شرحه لحديث أبي سعيد في خروج معاوية إلى المسجد ووجد قوما يذكرون الله فقال: (ما يجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله عز وجل، قال: الله ما أجلسكم إلا ذلك؟! قالوا: ما أجلسنا إلا ذلك... إلى آخر الحديث وهو في صحيح

مسلم، ما يلي: (فهؤلاء كانوا قد جلسوا يحمدون الله بذكر أوصافه وآلائه، ويُثنون عليه بذلك، ويذكرون حسن الإسلام، ويعترفون لله بالفضل إذ هداهم له ومنّ عليهم برسوله، وهذا أشرف العلوم على الإطلاق، ولا يُعنى به

إلا الراسخون في العلم، فإنه يتضمن معرفة الله وصفاته وأفعاله، ودينه، ورسوله، ومحبة ذلك، وتعظيمه، والفرح به، وأحرى بأصحاب هذا العلم أن يباهي الله بهم الملائكة).

وقال كذلك رحمه الله في مفتاح دار السعادة (311/1): (وهو أن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه، ولشدة الحاجة إلى معرفته، وعظم النفع بها، ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره فهو الله الذي لا إله إلا هو ربّ العالمين، وقيوم السموات والأرضين، الملك الحقّ المبين، الموصوف بالكمال كله، المتزّه عن كل عيب ونقص، وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله، ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، وكما أن العلم به أجلّ العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها، كما أن كل موجود فهو مستندٌ في وجوده إلى الملك الحق المبين، ومفتقر إليه في تحقيق ذاته وأينيته، وكل علم فهو تابع للعلم به مفتقر في تحقيق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم، كما أنه سبحانه ربّ كل شيء ومليكه وموجده) إلى آخر كلامه الماتع رحمه الله.

2/ الاعتناء بعلم القرآن

وعلم القرآن هو أولى العلوم بالتعلم، وهو أشرف العلوم، وقد ندم بعض العلماء على ما فاتهم من تضييع بعض الأوقات في غير معاني القرآن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يحكي حاله في السجن كما هو في الذيل على طبقات الحنابلة (2/402): (قد فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء، كان كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن)

3/ الاعتناء بعلم الحلال والحرام

قال الإمام الزهري كما روى الخطيب في الفقيه والمتفقه: (ما عبد الله بمثل الفقه) وقال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى كما في الأداب الشرعية (125/2): (عليك بالفقه فإنه كالتفاح الشامي يُحمل من عامه)

وقال عنه العلامة ابن تيمية كما في المجموع: (هو قوام دين الإسلام، يحتاج إليه العام والخاص)

يتبع....

وكتبه أبو عبد الباري عبد الحميد
أحمد العربي الجزائري